

مجلة

العرفان

للدراستات الصوفية

مجلة علمية دولية محكمة سنوية

تعنى بالدراسات الصوفية تصدر عن مركز البحث في العلوم الإسلامية
والحضارة

الأغواط، الجزائر

ISSN 2602-7526

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلة

العرفان

للدراستات الصوفية
مجلة علمية دولية محكمة سنوية

تعنى بالدراسات الصوفية تصدر عن مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة
الأغواط، الجزائر

أكتوبر 2019

العدد 02

المجلد 02

رئيس التحرير: عبد القادر بلغيث.

هيئة التحرير:

إبراهيم ابن أحمد (تونس)؛ إبراهيم آيت زيان (الجزائر)؛ الأخضر قويدري (الجزائر)؛ رزقي
بن عومر (الجزائر)؛ رشيد بكاي، (الجزائر)؛ عباس بوطبل (الجزائر)؛ العيد هازل (الجزائر)؛
فريدة مولى (الجزائر)؛ محمد الأمين بوحلوفة، (الجزائر)؛ محمد الفاروق عاجب (الجزائر)؛
محمد حلمي (مصر)؛ هارون الرشيد بن موسى (الجزائر)؛ عزيز عدلمان (الجزائر). محمد
العمrani (المغرب)

الهيئة الاستشارية

أحمد عمراني (فرنسا) ؛ أمين يوسف عودة (الأردن) ؛ آية وارهام محمد بلحاج (المغرب)؛
بشير بديار (الجزائر) ؛ بكري علاء الدين (سوريا) ؛ بومدين بوزيد (الجزائر)؛ حمزة الكتاني
(المغرب)؛ خالد التوزاني (المغرب). ساعد خميسي (الجزائر)؛ سعاد الحكيم (لبنان)؛
سميح جايخان (تركيا) ؛ الطاهر بونابي (الجزائر)؛ الطيب شويرف (فرنسا) ؛ عبد الباقي
مفتاح (الجزائر)؛ عبد المنعم القاسمي (الجزائر)؛ العربي جرادي (الجزائر) ؛ علي عباس زليخة
(سوريا) ؛ عيسى العاكوب (سوريا) ؛ ليلى خليفة (الأردن) ؛ محمد شوقي الزين (الجزائر)؛
محمد صالح الضاوي (تونس)؛ زعيم خنشلاوي (الجزائر)؛ محمد عبد القادر
نصار (السعودية)؛ محمد يحي الكتاني (مصر)؛ ناصر اسطنبولي (الجزائر) .

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة .

عنوان المجلة : مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة، مقابل القطب الجامعي الجديد،
ص ب 4082، بريد المحطة 03000 ، الأغواط، الجزائر .

البريد الالكتروني : alerfanrevue@gmail.com

ISSN 2602-7526

المحتويات

كلمة العدد:

05.....مكانة التصوف في المنظومة المعرفية الإسلامية

بن عومر رزقي

بحوث ودراسات

09.....سؤال التصوف في فكر الإمام الشاطبي - قضايا وإشكالات -

عبد القادر طاهري

المنظومات الصوفية في الجزائر (منظومة الشيخ محمد السكلاوي الزواوي

41.....(ت 1278هـ / 1861م) أنموذجا)

حاج بن يرد

61.....جمالية بنية التقابل في الشعر الصوفي - شعر ابن الفارض نموذجا -

عبد الناصر أشلواو

75.....مستويات وصور التواصل في الخطاب الصوفي

خالد ناصر الدين

105.....ثنائية التوحيد والشرك عند ابن عربي

عبد القادر شارفي

قراءة في كتاب

127.....قراءة وخلاصة لكتاب «محي الدين ابن عربي: وارث الأنبياء» لوليم سي. تشتيك

شعيب حيلة

مكانة التصوف في المنظومة المعرفية الإسلامية

رزقي بن عומר

يهم التصوف الإسلامي ببناء الشخصية الإسلامية المتوازنة، وذلك من خلال تحقيق رؤية شاملة وعميقة للحياة لدى الإنسان المسلم. مكنه هذا الدور من تبوء مكانة أساسية في الحياة السلوكية والفكرية لدى المسلمين، رغم أن البيئة الثقافية الإسلامية ترفع من صوت الفقهاء والمتكلمين في الحديث عن تعاليم الإسلام ونصرتها. لعل الذي جعل التصوف يحتل هذه المكانة الهامة داخل البيئة العربية والإسلامية هو احتفاؤه بالقيم الدينية التي تؤهله لإصلاح النفس البشرية وعلاجها من أدوائها، خصوصاً أن مجال التزكية هو مجاله بامتياز بالمقارنة مع الحقول الدينية الأخرى، من فقه وكلام. لأن الصوفي لا يصل إلى مرتبة الإحسان إلا بعد أن تتضح له رؤية الأمور، فيرصد كل طبقات الذات البشرية ومواطن ضعفها ومواطن قوتها، من أجل علاجها وإصلاح مفاصلها. والهدف هو إرجاع التوازن لهذه الذات وحفظ ميزانها المعتدل. وهنا يمكن اعتبار التصوف الإسلامي ميزاناً أعلى تُقوّم وتقيّم عليه النفوس. فلا نتفاجأ إذا تحرينا تاريخ الإسلام أن نجد التصوف في طليعة الإصلاح، والصوفية في طليعة المصلحين.

وكونه ميزاناً أعلى للتدين لأنه هضم القرآن وتشكل بماهيته، فمسألة المرجعية والتأصيل للخطاب الصوفي ذات أهمية كبرى سواء في بيانه العقدي أو السلوكي. فالقرآن

الكريم يشكل المرجع الأول للتصوف الإسلامي وفيه نستجلي الفهم الصحيح والعميق للمفاهيم القرآنية، وكذلك التطبيق لهذه المفاهيم في بناء الروحية الإيمانية والسلوكية للمسلم، إضافة إلى تشكيل رؤية واضحة للحياة تمكنه من معرفة حقائق الأشياء والعالم المحيط به، من خلال ربط الكثرة بالوحدة، والعكس. وتمييز وتنزيه ساحة الوجود الإلهي في التقديس، والتعظيم عن بقية الموجودات بما فيها الإنسان.

فالصوفية المسلمون تمكنوا من تحقيق القرآن في حياتهم بحيث شخصوه في ذواتهم ومن خلال هذا التشخيص أثبتوا التشخص الوجودي للقرآن، والتشخص النظري للإنسان بحسب أطروحة الشيخ راغب الأصفهاني في مؤلفه غريب مفردات القرآن الكريم. فعادت أطروحة الإنسان والقرآن متقابلتين تقابلا تضافيا بحيث لا يمكن تصور الإنسان بمعزل عن القرآن والعكس، ويغدو إلغاء طرف إلغاء للطرف الآخر.

لا شك أن التصوف من علوم الدين لكن طبيعته تبعده أن يشكل قسما أو قل بعضا من الدين، كما هو الشأن في علم الفقه الذي يعنى بالسلوك الظاهري من عبادات ومعاملات، أو في علم الكلام الذي يعنى بالتصديق الفكري بأصول الدين، لأنه لا يمكن تصور مسلم مكتمل التدين من دون الجمع بين العقائد والممارسات الفقهية. وهذه العلاقة بين الفقه والدين من جهة، وعلم الكلام والدين من جهة أخرى، هي علاقة الجزء بالكل. فالفقه والكلام جزءا الدين الإسلامي. بينما التصوف بحكم عنايته بالعمل الديني ككل تصديقا وممارسة معا من خلال استبطانها في ذات المسلم والتحقق بهما ذاتيا، بمعنى تشكيل ذاته على عنوان الفقه والعقيدة مع التعمق في ذلك في باطنه.

وبهذا الحكم لا يمكن جعل التصوف جزءا من الدين يضاف إليه الفقه والعقيدة، فهو بمثابة الدين ككل في رتبته الباطنة، ومما لا شك فيه أن الباطن لا يشكل جزءا من الحقيقة بل هو في تضاييف مع الظاهر، لذا رفض الصوفية حكم الباطنية الذي اتهمهم به خصومهم من الفقهاء والمتكلمين فهم يعتبرون العمل بالباطن مع اعتبار الظاهر من عمل المسلم الكامل. ولا يعد الاقتصار على رتبة تدينية دون الأخرى دينا، بل زندقة أو فسقا، ولعل هذا نلتمسه من كلام الإمام مالك الذي يعتبر أن من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف من دون تفقه فقد تزندق، ومن عمل بهما فقد تحقق، بما يعني أن

التصوف الحقيقي هو العمل بالدين ظاهرا وباطنا معا. وهذا ينسجم مع النعت الذي ينعت به التصوف من كونه قلب الإسلام، بحكم أن القلب جوهر ذات الإنسان، كما أن القلب حاكم على الجوارح وممتد فيها.

فلا نستغرب أن يعتني الصوفية المسلمون بالفقه وتمكينه في ذات المسلمين، فرعوا الفقه أيما رعاية وزادت عنايتهم به أن كشفوا عن بعض أسرار العبادات والمعاملات ومعانيها التي تتجلى في أحوال السالكين وقلوب العارفين. كما اجتهدوا في ربط هذه المعاني بمراد الحق من عباده عند تكليفه إياهم، فكانت العبادات معالم الترقى في مدارج معراج القرب الإلهي.

اجتهد الصوفية في تبيان الوصول إلى الحق وتشخيص ثمار هذا الوصول من مشاهدات وعنايات ربانية ترسم السعادة التي خلق لأجلها العباد، فحققوا العلة الغائية للخلق ألا وهي المعرفة بالله تعالى، بما تسمح مرآة قلوب المحبوبين. فرسموا الطريق إلى الحق تعالى مبدأ ونهاية، عبر معالم الأعمال والأخلاق والأحوال والمقامات والمعارف.

جسد الصوفية - خصوصا المربون والعارفين بالله حقا - بياناتهم هذه في متون تنوعت بين نثر وشعر، وكان نظام الشعر مهما في كتاباتهم هذه لسهولة تقييد المطالب الصوفية والعرفانية لدى المريد والسالك في رجوعه لتحقيق أعماله وتصديقاته، ومن جهة أخرى توافق نظام الشعر مع الذوق.

لم يشهد الشعر تطورا كبيرا في المبنى والمضمون في اللغة العربية، إلا بعد ارتباط الخطاب الصوفي به، بحيث عرجت مواجيد العارفين وتغنيهم بالذات الإلهية والذات المحمدية. وأصبح ميدان الشعر ميدان الجمال والجلال الإلهي، وانعكس هذا حتى المبنى الشعري للتصوف الإسلامي، فتنوعت كتابات الشعر الصوفي بين مطلق الشعر الذي تطلق فيه العنان للذات الصوفية الفانية في الحب والجمال الإلهي، وبين نظام الشعر الذي تحكمه ضابطة المعنى والمبنى. لأن الغرض منه أن يسهل معرفة حقائقه وقواعده عند السالكين. وهذا النوع من الشعر - المنظومات - اعتمدتها العلوم الدينية واللغوية الإسلامية من أجل بتسهيل جمع العلوم والمعارف، وتسهيل تحصيلها لدى طلابها.

ولعل عبر تاريخ التصوف ظهرت منظومات كبرى نذكر على سبيل المثال لا الحصر "منظومة السلوك الكبرى" المعروفة بـ"تائية ابن الفارض"، ومنظومات أخرى منها "منظومة السكلاوي" التي يتم بحثها في هذا العدد.

لا يمكن الحديث عن التصوف دون ذكر الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي، لأنه الشيخ الذي يقاس على معارفه جميع ما جادت به أذواق الصوفية، ويبنى على تحقيقاته كل مشاهدات ومجاهدات السالكين عبر تاريخ التصوف. وما يمكن تسجيله في هذا الصدد أن ابن العربي لم يكن ما حظي به من مقام وتعظيم بسبب موسوعيته في المعارف الصوفية، لأن هذه ثمرة كانت معلولة للمقام العالي الذي تحقق به بحكم توطین قدمه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكان جديرا بمقام الوراثة النبوية، وكان بفعل الوراثة التامة حقيقا بمقام الختم المحمدي. وكان حجة في العرفان، مكنته حجيته من بناء علاقة تواصل معرفي مع أرواح الأنبياء والأولياء. وربطت حجيته العارفين اللاحقين بعلومه، فأضحى كتاب الفتوحات المكية وفصوص الحکم المثل الأعلى الذي توزن عليه معارف وتحقيقات الصوفية من بعده. لذا لم يشهد تراث إسلامي عناية مثل ما شهدته مؤلفاته شرحا ودرسا.